سياحة
في طور عبدين

حضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بتاردين (تتمّة)

١١ً دير العمر او دير قرتمين

ان هذا الدير هو تحفة اديار طور عبدين في يومنا وله شهرة كبيرة واعتبار جزيل لتقادُم عهده وبديع هندستهِ وجليل ما انطوى عليهِ من الآثار. غير انه في يومنا قد عدّت على رسومهِ العوادي وتهدَّم كل ما يحيطهُ من الابنية الفخيمة الفاخرة ولم تترك لنا حوادث الزمان منه سوى كنيسته وهي على طرز كنائس طور عبدين القديمة المستبدعة. وتمتاز عنها باتساعها الذي يكاد يضارع طولها. وفي قبّة قدس الاقداس تشاهد حتى يومنا الفسيفساء المغرّقة بالفضّة والذهب على شكل جَفنة عناقيدُها سوداء واوراقها خضراء. وارض قدس الاقداس مرصوفة كذلك بالفسيفساء الملوّنة المشكّلة. والكنيسة على وسعها مُعتمة مظلمة ليس فيها الّا كوّة لناحية الشرق والى جنوبها ثلاث كوى صغيرة اسوةً بسائر الكنائس القديمة وجاء في تاريخ ابن العبريّ البيعيّ في عهد إوغريس بطريرك انطاكية ان دير قرتمين او دير العمر شُيّد سنة ٣٩٧ م وقد كان في سالف الزمان هيكلًا للاصنام (Mss. Sachau, ١٧)

وجاء في سيرة جبرائيل القرتمينيّ مطران الدير († ٦٦٨) حسب النسخة العربيّة الخاصّة مكتبة دير الشرفة ما ملخّصه(١: « ان انسطاس ملك الروم († ٥٢٠) اوفد البنّائين والنحّاتين يتقدّمهم ثاردوسي وثاردور فشيّدوا بيعة الدير وطولها ٣٧ ذراعاً وعرضها ٢٥ ذراعاً وعلوّها ٢٥ ذراعاً ايضاً وسمك البناء سبع اذرع واقاموا فيه ثلاثة مذابح في قدس الاقداس وجعلوا مائدة المذبح حجرة رخام طولها ستّة اشبار في عرض اربعة ورسموا فوق المذبح صورة اسد وثور ونسر وانسان ووشّحوا الحجر بثوب ملكيّ فاخر واكليل فضّيّ ورتّبوا فيها نحو ثلاثمائة صورة تمثّل اعمال السيّد المسيح (٢ »

---

١) المؤرخ الرهاوي (٥٢ : ١١٢) وابن العبري (ص ٧٧) من تاريخه السرياني

٢) عن نسخة سريانيّة وأيّاها يذبات

تلك هي حال الكنيسة اما اليوم فهي على ما وصفناها. وجدرها كأنها لعبت بها صروف الزمان. وقدام قدس الاقداس حيث اخذوس تشاهد حجرة طولها خمسة عشر شبرًا في عرض سبعة اشبار وعلوّها شبران ونصف شبر (١ وعلى هذه الحجرة يتلون صلوات الفرض. ولمحنا فيها كتابة سطرنجيليَّة لجهة الشمال فهمنا بقراءتها ونسخها فلم يسمح لنا الوافد فطلبنا من الراهب ان لا يعارضنا في نسخها. والحاحنا عليه وقلنا: هلمَّ قلمًا ننسخها كلانا معًا. ففعل وأضاء شمعةً وطفقنا نقرأ ونكتب والوافد يعربد مزعجًا. فلم نكترث له. واليك نصّ الكتابة حرفيًا:

[illegible]

عمّل زكريا الينوردي سنة ١٠٨٠ يونانيَّة (٧٦٩م) في بادية (تسمَّى دسكاني كلها مسلمون) ولمَّا اوفد الاسقف اشيعا الثاني عرّاب صهره واهتمّ اشيعا بالبيت وجميع رهبان الدير واتوا (بالحجرة) وصفّحوها ووضعوها في مكانها سنة ١٠٨٨ (٧٧٧م) في عهد اسقفنا واسف بنفقاته على قدر طاقته قرلس الينوردي القدّيس »

وعلى يمين الداخل الى المذبح حجر ضريح مكتوب بالحروف السريانيَّة هكذا:

[illegible]

« اهتمَّ البطريرك (من قلمة المرأة) سنة ١٨٦٧ وجدَّد ضريح الاربعين شهيدًا ومار مرجيس ومار باخس ومار اشعيا الحلبيّ وجعلها هنا »

---

١) قرأنا في سيرة جبرائيل رئيس الدير المذكور انهُ حاول ان يأتي بهذه الحجرة الى الدير فلم يستطع فنام على رهبان الدير اجمع ليذهبوا ويأتوا بها. فانبعث الموتى من قبورهم ورافقوا الاحياء الى محلّ الحجر واتوا به الى الدير. ثم امرهم جبرائيل فرجعوا الى قبورهم. وهذا كذب او تمويه صرف. فان جبرائيل توفي سنة ٦٦٨ والحجر نُقل الى الدير سنة ٧٦٩ اي بعد موته بمائة سنة كما تبيَّن من نصّ كتابة الحجر عينه في المتن

وعلى الشمال حجر آخر هذا نصُّهُ:

ܩܘܪܩܘܣ ܕܡܢ ܨܘܪ ܕܐܣܬܗܕ ܒܨܘܪ . ܘܪܫܗ ܡܬܝܒܠ ܠܥܘܡܪܐ ܕܡܪܝ ܫܡܘܐܝܠ

« قرقوس الصوري الذي استُشهد في الصور ونقل هامتهُ الى الدير مار شموئيل »

وعند باب الكنيسة على شمال الداخل اليها حجر مكتوب بالسطرنجيلية يتضمَّن اسماء اساقفة دير العمر مدة ٢٤٠ سنة اليك نصهُ حرفياً:

ܫܡܗ̈ܐ ܕܐܦܝܣܩܘ̈ܦܐ ܕܒܥܘܡܪܐ ܗܢܐ ܕܡܢ ܐܠܦ ܘܡܐܐ
ܘܫܬܝܢ ܕܝܘܢܝܐ . ܒܐܢܐ ܚܪܢܝܐ . ܚܙܩܝܐܝܠ ܚܐܠܝܐ . ܫܡܘܐܝܠ
ܡܠܛܝܢܝܐ . ܚܙܩܝܐܝܠ . ܝܘܚܢܢ . ܝܘܐܢܝܣ . ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ . ܣܐܘܝܪܐ .
ܚܒܝܒ ܡܠܛܝܢܝܐ . ܝܘܢܢ ܩܪܬܡܝܢܝܐ . ܝܘܣܦ ܣܒܪܝܢܝܐ . ܝܘܚܢܢ
ܬܒܪܝܙܝܐ . ܙܟܝ ܡܢ ܒܥܠܕܒܒܐ ܠܥܙܪ ܣܒܪܝܢܝܐ (ܚܙܝܐ) . ܘܐܒܪܗܡ
ܚܠܛܝܐ ܡܠܛܝܢܝܐ ܩܡ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܐܪܒܥܡܐܐ ܘܟܬܒ ܠܕܘܟܪܢܐ
ܗܢܐ ܘܒܝܘܡܘܗܝ ܠܘܚܡܐ ܘܥܩܬܐ ܐܬܚܪܒ ܥܘܡܪܐ ܗܢܐ
ܐܬܒܙܬ ܡܢ ܦܪ̈ܣܝܐ . ܘܗܘܐ ܚܪܒܐ ܘܩܛܠܐ ܘܫܒܝ̈ܬܐ
ܒܟܠܗ ܛܘܪܥܒܕܝܢ ܘܗܘܘ ܫܟܝ̈ܒܐ ܒܗܝܟܠܐ ܟ̄ܕ ܝܘܡܝܢ

« اسماء اساقفة هذا الدير منذ سنة ١١٦٠ (٨٤٩ م) . بانا الحرّاني . حزقيال الحالي . سموئيل الماني (١ . حزقيال . يوحنا . ايونيس . اغناطيوس . ساويرا . حبيب الماني . يونان القرتميني . يوسف السيبريني . يوحنا التبرزي . زكّا تمتّر للخصام لعازر السيبرقي . وآخرهم الحالي الماني قام سنة ١٤٠٠ (١٠٨٩م) وكتب هذا التذكار وفي زمانه المشؤوم الضيق خُرّب هذا الدير نهباً نهبهُ الفرس وأضحى قاعاً صفصفاً واقترفوا الشرور في طور عبدين اجمع وظلّ الناجون في الهيكل اربعة وعشرين يوماً (٢

ويستفاد من تنقيب الدير انهُ مشيَّد على اسم مار جبرائيل القرطميني (الباقساني) وشمعون القرتميني وشموئيل المشتي (نسبة الى مشته قرية قريبة من آمد)

فيتحصَّل من ذلك كلّهِ ان هذا الدير العظيم كان نخبة اديار طور عبدين واقدمها

---

١) نسبة الى بيت مانعم وتسمَّى هيتم ايضاً وهي مسقط راس شمعون مطران جرجر الذي صار بطريرك الشام سنة (١٤٢١–١٤٤٥)

٢) ذكر ميخائيل الكبير في تاريخهُ (٣: ٢٦٨) ان دير قرتمين نُهب اوّلاً سنة ١٠٢٥ م نهبهُ الاتراك . وثانياً سنة ١١٤٦ وقُتل فيهِ اربعة رهبان . وذكر المؤرخ الرهاوي (٢٧: ١٢٨) ان ادرمون عامل الفرس في نصيبين غزا دير قرتمين وقرى طور عبدين سنة ٥٨٠ تقريباً

عهدًا ولهُ بُني في اواخر القرن الرابع كما شهد ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ وان اوّل من تولّى رئاسته سمونيل وخلفهُ قيروس تلميذه (١٠ و١٤ تشرين الثاني و١٥ ايار من كالندار الاب بترس). ثم ترأس شمعون رئيس دير قرتمين الثاني (٤ كانون الثاني من الكلندار المذكور) وولي بعده الرئاسة قيروس بن صفنيا تلميذ سمونيل ولهُ عيد في ٢٠ تشرين الثاني و١٤ كانون الاوّل. وخلفهُ شمعون الثانيّ رئيس دير قرتمين (١١ كانون الثاني من الكلندار المرقوم). وكانت وفاة مار شمعون القرتمينيّ سنة ٧٤٤ يونانيّة (٤٣٣م) (كالندار الاب بترس في ١٨ كانون الثاني). وورد في ٣١ آب ذكر جبريل القرتمينيّ فقال: قطعوا يده اليسنى واتوا بها الى قرية حساح (وهو شفيع) وباء الطاعون رسمه مطرانًا اثناسيوس الجمّال بطريرك اليعاقبة (٥٩٥—٦٣١) وفي ٢٩ نيسان ذكرُ اصفنيا رئيس دير قرتمين ولا ندري زمانه. وذكر زكريّا الملطيّ الفصيح في تاريخهِ ان يوحنا مطران آمد احد مطارنة اليعاقبة الاوّلين كان من دير قرتمين سنة ٥٠٠ في عهد فرلا او بولس بطريرك انطاكية (٥١٩ — ٥٢١) وعُرف ايضًا في بطريركيّة ساويرا الثاني (٦٦٨ — ٦٨٠) حنانيا مطران دير قرتمين (١ واثناسيوس الثالث (٧٢٤ — ٧٤٠) الذي خلف ايليا البطريرك وتمت رسامتهُ في دير قرتمين. واشتهر ايضًا اثناسيوس السنديّ مطران ميافارقين الذي درس في دير قرتمين وتقلّد البطريركيّة بامر ابي جعفر المنصور الخليفة باسم اثناسيوس الرابع (٧٥٦—٧٥٨). ولمّا خنقهُ الحرّانيّون سار رهبان دير قرتمين واتوا بجثمانه ودفنوه في ديرهم (٢. واسحق الذي صار بطريركًا سنةً واحدة ثم امر بهِ ابو جعفر فخُنق وأُلقي في الفرات واقام بدلهُ اثناسيوس السنديّ المذكور

ودرس ايضًا في دير قرتمين ثاودسيوس بطريرك اليعاقبة (٨٨٧—٨٩٥) الذي برع في الطبّ وصنّف فيهِ كتابًا باسم « تأليف ثاودسيوس البطريرك » (٣ وتوفيّ في دير قرتمين في ٤ حزيران ٨٩٥

ومنهم شمعون اسقف قرتمين الذي رُسم بطريركًا في تلعدا بانطاكيـة باسم

---

١) راجع كتابنا الزهرة الزكية (ص ٢٧)

٢) الزهرة الزكية (ص ٤١). وله عيد في ٢١ ايار وهو مؤسّس دير قليما غربي ماردين

٣) الزهرة الزكية (ص ٤٦)

ديونوسيوس الثالث (٩٥٧ — ٩٦١) ودُفن في ضريح ثاودسيوس البطريرك

ومنهم يوحنا مطران قرتمين رسمهُ اثناسيوس الخامس سنة ٩٨٨ وهو الذي جدَّد الكتابة السطرنجليَّة في طور عبدين اذ كانت قد بطلت منذ مائة سنة (١ حتى انَّ عمنوئيل ابن اخيهِ كتب سبعين مجلَّداً من الترجمة البسيطة والسبعينيَّة والحرقليَّة وفناقيث ثلاث طغمات (ܛܓܡ) على الرقّ ووقفها لدير قرتمين (٢

وفي عهد يوحنا الحادي عشر بطريرك اليعاقبة (١٠٤٢—١٠٥٧) جرت فتنة بينهُ وبين المفريان أسفرت عن رقم ثلاثة صكوك مؤدّاها ان لا يُرسم بطريرك الَّا بحضور المفريان او اخذ رضاه وجُعل احد الصكوك في دير قرتمين (٣

واشتهر من قرتمين ايضاً يوحنا المفريان القرتميني رسمه باسيل الثاني (١٠٧٤—١٠٧٥). ومنهم داود مطران قرتمين المعروف في عهد ميخائيل الثاني († ١٢١٥) ومنهم ايضاً اغناطيوس مطران قرتمين الذي رسم يوسف بن وهيب بطريركاً باسم اغناطيوس الخامس (١٢٩٣ — ١٣٣٣) ومنهم اخرخ العينوردي كان مطرانًا لقرتمين ثم صار مطرانًا لطور عبدين († ١٤١٥). وخلفهُ في المطرانيَّة والبطريركيَّة قوما ابن جنل البربني († ١٤٥٥)

هذا ولمَّا خرجنا من الكنيسة رمنا ان نتعهَّد ما اشتمل عليهِ الدير من الغرف فتفقَّدنا غرفةً عالية كبيرة في جنوبي الكنيسة مستديرة الشكل تحيطها سبعة اروقة وفي صحنها مصطبة او دكَّة مربَّعة. قيل انها كانت غرفة مائدة الرهبان. واليوم قد انقلبت الى مراح دواب فيها الزبل والتبن واصناف الحيوانات

وقرأنا في قصَّة جبرائيل مطران قرتمين المذكور سابقاً انهُ كان من عادة رهبان زمانه اذا خرجوا من الكنيسة الى المائدة يرتّلون الاناشيد السريانيَّة المعروفة بالمعانيث (ܡܚܢܝܬܐ) وكان في المائدة اثنا عشر حجراً من الرخام الابيض

ثمَّ طفنا سائر الغرف وانحدرنا الى سرب مظلم في جدرانهِ أجران قبور مكلَّسة

---

١) الزهرة الزكية (ص ٥١)

٢) راجع رغبة الاحداث (٢: ١٥٨)

٣) الزهرة الزكية (ص ٥٢)

تحتوي على اجسام شهداء اصلهم من بلاد الصعيد بمصر هجروا اوطانهم طلباً للنسك وبانوا طور عبدين وانزووا في دير قرتمين. ولما هجم الفرس على دير العمر قتلوهم عن بكرة ابيهم. ويؤيد ذلك ما ورد في كالندار الاب يترس (ص ١٦٤) في سادس تشرين الاول ما تعريبهُ :

« ذكر العشرة الرهبان القرتمين المسنين اخوة . واربعمائة وثلاثة وثمانين شهيداً . . (ذُكر) انهُ في احد الايام فتح البطريرك والرهبان القبور التي في بيت الشهداء بالدير فصادفوا ثمانمائة وثلاثة واربعين جمجمةً »

ولا ندري من هو هذا البطريرك وفي اي زمان جرى هذا

وجاء في خاتمة قصة جبرائيل رئيس الدير ما نصُّهُ : « بصلوات الثلاثمائة المصريين الذين اتوا الى هذا المكان واكملوا جهادهم وبصلاة مار شموئيل ومار شمعون ومار جبرائيل الخ »

وخارج الدير في غربيه عامود مربَّع على شكل منارة كبيرة ذو اربع طبقات قيل انها صومعة لاحد نسَّاك الدير . وسائر مشتملات الدير لا تستحقّ الذكر اذ قد أمست مهدودةً مقوَّضةً برمتها

وهذا الدير الجليل الذي كان يثويه يوم غزوه ما ينوف على المائة والخمسين راهباً (١ لا يسكنهُ في يومنا سوى اسقف شيخ وراهبين احدهما ضرير والآخر صغير ونفرٌ من جماعة اليعاقبة اسوةً بسائر الاديرة الطور عبدينيَّة

اما قرية قرتمين فهي قريبة من الدير الى جنوبيه تبعد نحو ساعة ولقد كانت شهيرة وخرج منها عدَّة اساقفة وكهنة ورهبان كان اهلها يشتغلون الرقّ او جلد الغزال لكتابة الكتب . وسكَّانها في يومنا مسلمون كلهم

١٢ من دير العمر الى باسبرينا

وصباح الثلاثا ١٩ ايار اول قصدنا قرية باسبرينا يصحبنا راهب من دير العمر فقطعنا جبالاً خضراء ووديانا حتى وصلناها قبل الظهر وكنَّا نجهل مجيء ذلك الراهب معنا .

١) ذكر نرما المرجي في كتاب الرؤساء (١٨ : ٨٥ من طبع الاب يجان) جبرائيل رئيس الدير في عهد سهدونا اعني في القرن السابع وقال ان جبرائيل هذا جادل الساورديين المحلوقين (اليعاقبة) الذين يسكنون دير قرتمين . فذلك دليل على كثرتهم وعلوهم

على انا لمّا وصلنا الى القرية لم يدعنا ان نتفقّد بيعة فسرنا معهُ توًّا الى دار اوجين شيخ القرية فاسرّ اليهِ الراهب ان يامر بايصاد باب الكنيسة تجاهنا واخفاء الكتب عنّا . ولما قمنا الى الكنيسة سمعنا الشيخ ينادي قسّ القرية وغيره باللغة الكردية ويحرّج عليهم فتح الباب . ففهم شقيقي يوسف كلامه ودخلتنا الكآبة من تلك المعاملة الذميمة . وجعلنا نطوف القرية متفقّدين فيها اكواخًا وصوامع واكامًا ضئيلة تناهز العشرة وتُنسب لايليا والجدليّة وشمرني وقوما ودانيال واخسنايا وتوما وجبرائيل وديرًا صغيرًا للراهبات يسمّى دير الأخوات (ܕܝܪܐ ܕܐܚܘܬܐ) . وديرًا لبرصوما فيهِ صومعة . ولمّا رأينا ان اغلب الذين رافقونا من دار الشيخ سئموا ورجعوا الى شغلهم تحيّنّا الفرصة لنتفقد الكنيسة الكبرى . فولجنا الفناء الكبير يصحبنا شخصان وحاولنا الدخول الى الكنيسة فردّونا بصفقة خاسرة وزعموا انَّ المفتاح مفقود . واذ كان شقيقي يلحّ في طلب المفتاح لمحتُ كتابة سطرنجيلية فوق باب الكنيسة فرقيت الى الافريز قدّام الحجر وكتبتُها وهذا نصّها :

ܐܬܚܕܬܬ ܥܕܬܐ ܗܕܐ ܘܕܪܬܐ ܕܩܕ̈ܝ . ܘܩܡ ܐܪܒܥܐ ܘܐܦ
ܓܘܕܐ ܕܟܕܪܬܐ ܪܒ ܫܡܥܘܢ ܡܪܬܐܡܣܝܢܐ ܫܢܬ ܐܠܦܐ
ܘܝ̈ (؟) ܘܥܣܪ ܕܝܘܢܝܐ ܟܠ ܕܩܪܐ ܢܨܠܐ ܥܠܘܗܝ ܘܥܠ ܟܠ
ܕܐܫܬܘܬܦ ܒܡܠܬܐ ܘܒܥܒܕܐ

تجدّدت هذه الكنيسة وحوش القديس واوقف الند والكرد (على كتاب الصلاة) الذي في الحوش الربّان شمعون الترغيني سنة الف وخمسمائة (١ وعشر يونانية (١٠٩٩ م) كل من يقرأ فليصلّ عليهِ وعلى كلّ من اشترك بالكلام والعمل

وقرأنا في مصلّى الصيف كتابة اخرى على عيننا تعريبها : تجدّد هذا السكن سنة ١٨٦٦ (١٥٥٥ م)

أمّا الكنيسة فهي مشيّدة على اسم مار دادا (ܕܕܐ) ومار اسيا واشعيا ومار آحا ومار فلد (ܦܠܕ) كما يستفاد من تاريخ فنقيث كُتب في باسبرينا

واشتهر في باسبرينا اشعيا القس ابن القس دنحا جاجيم المتوفى سنة ١٤٠٠ ولهُ ميمر سرياني يصف فيهِ هجوم الاتراك والأكراد على بلاد الجزيرة نشره الاب

١) تعذّرت علينا قراءة هذا الحرف السطرنجيلي ونرجح انهُ ܘ

جبرائيل القرداحي الماروني في كتابه الكنز الثمين (ص ١١٣). وكوركيس مطران باسبرينا الذي سار اليه البطريرك نوح البقوفاوي واستشاره واستفرضاه ثم عاد الى ماردين وسمي بطريركاً عام ١٤٩٤. وكان قرما مطران قرقين من باسبرينا وهو الذي صار بطريركاً لطور عبدين († ١٤٥٥)

وعُرف ايضاً برصوما بن عبد العزيز من قرية باسبرينا الذي كتب سنة ١٨٥٦ (١٥٤٥ م) كتاباً سريانيًا في العقود والوراثة وسرّ التوبة وحكايات وفهرس الاعياد والاصوام وشيئاً من كتب الطبّ يعتبها تاليفه في الردّ على النسطورية وعندنا نسخة منه. جاء في اوّله في السريانيّة ما تعريبهُ :

« بسم الآب والابن والروح القدس. نكتب مجادلة ضدّ الناطرة جمعها وألّفها برصوم دربنوس »

وورد في خاتمة المجادلة ما تعريبهُ :

« كمل الكلام ضدّ الناطرة حسب تصليح برصوم دربنوس من قرية بيت كورشين ابن عزيز المرحوم وانّه راحيل. كتب سنة ١٨٥٦ (١٥٤٥ م) »

وبعد هذا عدنا من باسبرينا الى قرية ديران وهي صغيرة ليس فيها من الآثار شيءٌ ومنها جئنا الى قرية كفربه وهي فافت (هصصم) القديمة قام منها اساقفة ورهبان مشهورون ذكرنا نفرًا منهم في رحلتنا هذه. وفي كفربه كنيسة شاهقة جدًّا على جبل عالٍ باسم مار اسطفانس يعلوها الاجرّ وهي على طرز الكنائس القديمة ولم نعثر على اثر كتابة فيها. واعزّنا القسّ سمونيل كاهن القرية فودّعناه الى دير العمر ثانيةً. ولمّا أسحرنا عدنا الى مذيات يوم الاربعاء ٢٠ ايارل وعرّجنا على مزيزخ ثم انتهينا الى عينورد وفيها كنيسة قديمة باسم حدبشابا لم نُلفِ فيها شيئاً من الآثار والكتابات. واشتهر من عينورد زكريا نحات الحجرة الكبيرة التي بدير العمر واخوخ ويشوع ويوحنا بن قوفر بطاركة طور عبدين كما ذكرنا في كلامنا عن مذيات ومنهم ديوسقوس شمعون مطران الجزيرة سنة ١٤٨٤

وواصلنا السير حتى يمّنا مذيات فلبثنا يومين ضيوفاً مكرّمين على القس بطرس حمال النائب البطريركي

١٣ من مذيات الى دير مار ملكا القلزي

غادرنا مذيات غلس الجمعة ٢٢ ايلول شاكرين للقس بطرس الفيور فضله وأنسه وسرنا صحبة مكاريَين مذياتيين الى دير مار ملكا القلزي . فبلغنا الى قرية كفر شامع على مسافة ساعة من مذيات في جنوبيها الشرقي وقد اضمحلّت آثارها ولندرست . وكان فيها دير لمار شربيل ورسومه باقية الى يومنا . وعُرف من هذه القرية « هرقلي الحبيس (هوصحا سحصصا) في دير كفر شامع »الواقع عيده في ٢٤ كانون الثاني . وكُتب هذه الكنيسة توزّعت على كنائس الجبل كما سنرى في كلامنا عن النحل . ويشوي كفر شامع في يومنا نفرٌ معدود من المسلمين

وانتهينا من كفر شامع الى قرية النحل وهي مشيدة على أكمة تتوسّطها كنيسة مار قرياقس الكبرى . ومن سطح هذه الكنيسة يمتدّ البصر الى قلعة ماردين وبعض الروض . وفيها اسقف يقال له افرام وراهبٌ وكلاهما من السذّج . امّا هيئة الكنيسة فتحاكي سائر كنائس طور عبدين التي استوفينا وصفها وفيها ضريح المفريان عبد الاحد بن كندو (او جندو) الذي رُقّي الى البطريركيّة الياس الثاني سنة ١٨٣٧ . وفيها كتاب سريانيّ ضخم يتضمّن اخبار القدّيسين خالٍ من التاريخ والظاهر انهُ من القرن الرابع عشر . وفيها كذلك ثلاثة فناقيث على رقّ تتضمّن طقوس الاعياد منها طقس عيد ابينا مار افرام الملفان السرياني ومار ثاودورس الشهيد وعيدهُ في السبت الاوّل من الصوم وهذا تاريخ الكتاب معرَّباً :

« انتهى كتاب البيانات السريانيّة سنة ١٥٣١ (١٢١٠م) في غرّة ايلول بدير مار شربيل الشهيد بجانب كفر شامع في عهد البطريرك يوحنا القدّيس (ابن المعدني ١٢٠٨ — ١٢٢٠ م)

وفي النحل معابد وأكواخ تُنسب الى والدة الله واشعيا واولوغ ومار جرجس وشمعون وهي ضيّقة مظلمة . واهلها يعاقبة باجمعهم يناهزون مائة عائلة

ومشرقي النحل بينها وبين كفرا قرية مار يونس فيها اطلال كنيسة قديمة واهلها مسلمون كلّهم يبلغون ثلاثين عائلة ونيّف

وشخصنا من النحل الى كفرا فوصلناها في الهجيرة فرحّب بنا كاهنها اليعقوبي الأطيف . وكنيستها على نمط الكنائس القديمة الراقية الى القرن السادس او السابع وهما ثلاثة اسواق سوقها الاوّل باقٍ على هيئته القديمة وقد جُعل فيه المذبح الجديد

وسائر اقسامها قد ذهبت بها صروف الزمان وهي مشيَّدة على اسم مار يعقوب الحبيس ومار هجلاي (ܗܓܠܝ) ولم نعثر على اسم هجلاي في كتب النسَّاك والزهَّاد التي طالعناها ولعلهُ احد تلامذة مار اوجين . وفي الكنيسة فنقيث على رقّ كنقيث كنيسة انحل الذي وصفناه . وعلى باب الكنيسة الجنوبيّ حجر يعلوهُ تمثال حمامتين ثمَّ كاسٌ يتخلل الحمامتين . وفي حجر آخر رسم حمَل وافادنا الكاهن ان قد وردتهُ رسائل من مساردين ان يحفر تحت المذبح لعلهُ يجد آثاراً بيعيَّة وكان القس في جملة من الفعلة يشتغلون بالحفر ولا ندري هل صادفوا شيئاً . واهل كفر بيلاون نيفاً وعشرين عائلة

وغادرنا كفرا نريد دير مار ملكا القلوذيّ ابن اخت اوجين رئيس النسَّاك الشرقيّين . وقبل بلوغنا اليه مررنا بقرية « خربة آله » وهي اركح القديمة . فيها كنيسة كبيرة لليعاقبة واهلها سريان يعاقبة اجمع ينوفون على المائة بيت ولم نعثر على اطلال او رسوم فيها . ويلوح انَّ القرية كانت محاطة بسور رسومهُ تشاهد في غربيها

وعلى مسافة نصف ساعة منها دير مار ملكا وهو مشيَّد على اكمة عالية يشرف على احراج غضّة من البلّوط وما ضاهاه . مبنيّ بالجُرم اعني بصخور مخروقة . والكنيسة صغيرة يُرقى اليها بدرج فيها صورة مار ملكا حديثة موضوعة فوق ضريحهِ . وقرأنا في فنقيث الدير ما نصّهُ :

. ܒܪܫܗ ܕܟܢܘܢ ܩܕܝܡ ܫܢܬ ܐܬܥ ܫܠܡܬ · ܦܢܝܬܐ ܕܒܢܝܢܐ
ܠܥܘܡܪܐ ܡܫܒܚܐ ܕܡܪܝ ܡܠܟܐ ܕܗܘ ܩܠܘܕܝܢܐ ܘܡܪܝ ܣܒܝܢ
ܗܘ ܢܨܝܒܝܢܐ ܘܡܪܝ ܐܝܫܘܥ ܩܠܘܕܝܢܐ ܘܡܪܝ ܐܘܬܠ ܗܘ
ܡܗܝܡܢܐ܆ . ܐܪܒܥܬܐ . ܘܡܪܝ ܫܡܥܘܢ ܐܪܟܝܕܝܩܢܐ ܕܝ ܘܗܟܢ
ܕܒܢܝܬ ܥܡܘܕܝܐ . ܘܒܝܬ ܩܕܫ ܠܒܝܬܐ ܬܫܡܫܬܐ . ܘܠܩܪ
ܫܪܝܐ ܒܗ ܗܘܬܐ

« في غرّة كانون الاوّل سنة ١٤٧٠ (١١٥٩ م) انتهى نقش البنايات بدير مار ملكا القلوذيّ الشهير ومار سبين(١) النصيبي . ومار ايشوع القلوذي (رفيق مار ملكا) ومار اوثل

١) ورد ذكر سبين في بستان الرهبان (ܦܪܕܝܣܐ ܕܪܗܒܐ) طبع الأب بيجان (ق ١ ص ١٨٣) حيث يذكر ان اصلهُ من قبدوقية . والموارنة السريان يتبركون جدًّا وقد شادوا على اسمهِ كنائس في لبنان احداها في دير القلعة فوق بيروت (المشرق ٨ : ١٥٦)

الموصلي (١ العربي (وضريحه بدير مار ملكا) ومار شمعون الاركحي (نسبة الى اركح وهي خربة آله اليوم) ابن وهبون من بازبدى . التي فيها اي في اركح صنع ملكا المختار اعجوبة وطرد الشيطان من المرأة »

اما اليشع القلزميّ فهو شقيق مار ملكا (بيجان ٥ : ٤٦٨ من سير القدّيسين » بقي خبر ملكا نلخّصهُ عن بيجان (٥ : ٤٢١—٤٦٩) . اصلهُ من القلزم بمصر . وامّهُ رفقة شقيقة اوجين رئيس النسّاك . وعمّهُ سموئيل عشر سنوات وكان بمعيّته اليشع كاتب سيرته . وتبع كلاهما خطوات اوجين في غرّة نيسان واستمرّا عندهُ اربع سنوات ثم حجّا الى اورشليم وبرّية الصعيد وبعد ثلاث سنوات عادا الى جبل الازل فاستصحبهما اوجين الى نصيبين فرسمهما مار يعقوب شمّاسين ثم قسّيسين ثم سار ملكا الى المحل ليشيد ديرًا فلم يرُق لهُ المكان فعاد الى اركح (خربة آله) وشيّد في قلّتها ديرًا بمشورة مار اوجين وتتلمذ لهُ سليمان بن وهبان . ثم حجّ الى اورشليم تكرارًا وعاد بعد سنتين الى ديره فاتاه اوثل الآتوري كما نوّهنا وترهّب في ديره . ومات ملكا في ٢١ نيسان وخلفه سليمان المشار اليه . وكان ولادة ملكا سنة ٥٣٤ (٢٢٣م ؟) وخروجه من دار ابريه سنة ٥٥٦ (٢٤٥) ووفاته سنة (٦٢٦ — ٣١٥) (٢ وعمره ٩٣ سنة

هذا ملخّص سيرة ملكا ومار اوثل . وقرأنا في كتاب حسّايات الدير ما تعريبهُ : سار برا الغريب حرّاض جنام بن حبيب الباني فكتب الكتاب وتب بالكتابة الربّان

---

١) ورد ذكر اوثل (في المشرق ١٠ : ٦٧١—٦٧٢) وكان من المجدل (مجدلا) وهي بلدة على الخابور جنوبي ماردين وشرقي راس العين وفي قلّتها بيت مربّع مبيّض وبخيط قنّة المجدل رصيف من الحجارة النضيدة . وقد ذكرها الواقدي في فتوحاته مرارًا (راجع ٢ : ١٠٥ و١١٢ طبع مصر) . وجاء ذكر اوثل المجدليّ في كلندار الاب بترس ٣ حزيران و٩ تشرين الاول ويستفاد من قصّة مار ملكا الفلزمي (بيجان ٥ : ٤٦١) ان اوثل الآتوري النحلة عربيّ قصد مار ملكا فشفاه ثم ترهّب لديه واستمرّ في قيد الحياة اربع عشرة سنة بعد انتقال مار ملكا . ووضع سليمان الاركحي تلميذ اوثل تذكارًا لملكا واوثل في غرّة ايلول . وورد اسمُ لدير اوثل في الرها . سكنهُ ابرهيم طران آمد الذي رسمهُ مطرانًا ابن وهبون (المشرق ١٠ : ٩٩٧)

٢) في تاريخ حياته نظر فان مار اوجين توفي ٣٢٩ م فتأمّل

انطون سياسوس سنة ١٩٥٩ (١٦٤٨ م) [وهي سنة ١٦٥٠ م sic] وتجدَّد الكتاب في دير شنّا (١ المقدّس

١٤ من دير مار ملكا الى دير مار اوجين

برحنا دير مار ملكا واخذنا نتوغّل في غياض وارفة الظلّ وجبال زاهية وعند الغروب انتهينا الى جبل عالٍ تسلقناه فأشرفنا منهُ على قلعة ماردين والبرّية الفسيحة . ثم جعلنا ننحدر الى الجنوب هائمين على وجهنا لا ندري اين نتوجّه لا نحن ولا المذياتيّان اللذان معنا . فانحدرنا عن الدوابّ واخذنا نتدهدى في مواضع مطموسة المسالك حتى ضرب الليل بارواقهِ واضحت الساعة الثانية بعد الغروب . فغلب علينا الجزع والقنوط فاستغثنا بالقديس اوجين وعلقنا ننادي اربعتنا باعلى صوتنا : ربّان ربان . معلّلين النفس بدنوّنا من الدير . وبينا نحن في الحيرة والصيحة اذا صوتٌ يدوي في الوادي فعادت الطمانينة الى قلبنا واخذنا نسير في الهوينا ونصيح بالراهب غير مبالين بالحجارة التي نعثر بها . وبعد هنيهة وصل الينا الراهب الغيور وقادنا بين الصخور بمشقّة جزيلة حتى الدير وشكرنا لفضل القديس اوجين وشفاعته . واثنينا على همة ذلك الراهب الفاضل . فاكلنا ونمنا مستريحين

وعند بزوغ الصباح نهضنا بنشاط واخذنا نسرّح نواظرنا في موقع ذلك الدير الرهيب المرعب ونتأمل في معاهده المباركة وصوامعه الكثيرة فأطربتنا ابنيتهُ واعجبنا مركزه العاصي وتأملنا عيشة الرهبان الذين ثووه وابدوا فيه اعمال البرّ والتقى فكأنهُ وكر نسور او عشّ حمام فردّدنا آية اشعيا نبيّ الله القائل : « لترتم سكّان الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال ليردّدوا المجد لله ويخبروا بحمده في الجزائر (٤٢ : ١١ و ١٢) . والدير مستتر في وادٍ بين جبلين يشرف على البرّية والجبل يكتنفه من نواحيه الثلاث على شكل نصف هلال وفيه اكواخ للرهبان يثويه اليوم مطران زاهد واثنا عشر راهباً احدهم ضرير يعرف الصلوات الفرضيّة كلّها غيباً

وقانون هؤلاء الرهبان يختلف عن رهبان الزعفران فانهم لا يأكلون لحماً ولا

---

١) شنّا مدينة ببيت رامان يسميها الفرس فردلاباد . راجع كتاب الفتّة (عدد ٤٧ ص ٤٧٠ من طبع بيجان)

بياضاً الا ان اعمالهم غير منتظمة . كلٌ يصلي ويشتغل ويزمر ويأكل وينام على حدة وانفراد دون ضابط

ومما استغربناه فيهم انهم لما اصبحوا لم يجتمعوا للصلاة سوية ولم يقرب احدهم الذبيحة الالهية طبقاً لنصوص الآباء النساك بل رأيناهم لم يدخلوا الكنيسة فكانوا واقفين في المصلى الصيفي يصلون سراً ويجثون ويقومون ومنهم من يصلي في صومعته ولا ينحدر الى الكنيسة ليتلو الصلاة مع الجمهور . فلم نتمالك ان نفاتحهم في ذلك مبينين لهم مخالفتهم لقوانين الآباء

وبعد ان صلّينا الصبح جعلنا نطوف معاهد الدير متفقدين آثاره فولجنا كنيسته الكبرى وهي على كبرها واتساعها معراة من كل زينة وقلّما يدخلها الرهبان . وفيها ضريح القديس اوجين المعظم انحدرنا اليه بدرجات معدودة تعلوه حجارة رخام اسود مغبر . والى جانبه ضريح اختَي اوجين تقلا واسطرنطانيس (١

ولم نعثر فيها على كتابة او كتاب وقس عليه مصلى الصيف فاننا لم نجد فيه ما يستلفت النظر . والى شرقي المصلى غرفة متسعة فيها قبور كثيرة دون كتابة والى جنوبيها ثلاثة اروقة عالية معقودة بالآجر وعلى الرواق المتوسط قبة لطيفة ظريفة يعلوها القرميد الاحمر وتحتها غرفة مربعة على اسم العذراء مريم اعتنى الرهبان فجددوا مذبحها منذ بضع عشر سنوات وفي ظننا انها اقدم عهداً من الكنيسة عينها

وفي اطراف الدير مناسك شتى يكتنفها سور آثار ابنيته ظاهرة . وفيه بئر كبيرة واسعة لا تنتهي مياهها . وتحت الدير الى غربيه مغارة واسعة ألفينا فيها عظام اموات ذكر لنا الرهبان انها عظام رهبان نساطرة قد أُتيت هناك

ولم نحظَ كذلك بمخطوطات في الدير قديمة او حديثة ولعلّ عندهم شيئاً منها لم يرُق لهم ان يعرضوه لنا ولا نظنّ ان في الدير آثاراً قديمة العهد . والسبب في ذلك ظاهر فان من طالع تواريخ الاديرة ولاسيما كتاب العنّة وكتاب توما المرجي وقف على ما كان لذلك الدير الفخيم من الاهمية لدى النساطرة خاصة فانهُ كان اوّل الاديار واعظمها عندهم . وبعد هذا دخل في حوزة اليعاقبة وتغلّبوا عليه لشديد اعتبارهم ومزيد اجلالهم لمسار اوجين . ومن ثم كان المغلوب والمقهور ينهب ويخرب ويسلب

(١) يجان سير القديسين (٣ : ٤٧٢)

ويهرب . وفي مكتبة الكلدان بالموصل انجيل سرياني لآحاد السنة واعيادها على رقّ نُسخ سنة ١١٨٦ م في دير مار اوجين في عهد ايليا البطريرك وبابالاها مطران نصيبين (١

وفي مكتبة الكلدان باردين كتب شتى منسوخة في دير مار اوجين منها كتب كانت تخصّ هذا الدير . من ذلك انجيل منسوخ في عهد الجاثليق بابالاها وعبد يشوع النصيبيني الذي «وهب هذا الانجيل لدير مار اوجين مع اربعة وعشرين كتاباً» . وكانت كل كتب دير مار اوجين حين ذاك اربعة واربعين . ومنها انجيل حسب النسخة البسيطة منسوخ سنة ١٥٦٩ م ذكر في آخره اسماء المتبرّعين على بيعة مار يعقوب بنصيبين وعلى دير مار اوجين . ومنها كتاب ميامر لمار افرام ونرساي وغيرهما نُسخ في دير مار اوجين ١٧ شباط ١٥٠٥ استنسخهُ الربّان عبد الله (٢ النصيبيني راهب دير مار اوجين مع كتب أخرى . ومنها كتاب جنّازات (حصصه) نُسخ في دير مار اوجين ٤ حزيران ١٥١٤ م (٣ في عهد البطريرك شمعون وابن اخيهِ ايليا وريث الكرسيّ . وفي انجيل منسوخ في القوش ١٩ تموز ١٧٤٢ حسب البسيطة في عهد البطريرك ايليا يذكر انهُ كتبهُ القسّ حنّا الذي رُسم على دير مار اوجين بقاطعة اشتينا

فمن ذلك كلهِ يتّضح ان الناطرة كانوا مستحوذين على هذا الدير حتى القرن السابع عشر والثامن عشر

واعلم ان دير مار اوجين بعد وفاة مشيّده القدّيس بزمان تضعضعت ابنيتهُ فقام من سعى رهمّ بتجديدها . وقد اورد يشوع دناح في كتاب العفة (عدد ١٠٧) عن ابرهيم بر معرّايا قال انّ اصلهُ من قرية معرّى واوفده ابرهيم رئيسه الى جبل الازل لجدّد خرابات دير مار اوجين والتأم اليهِ خمسون نفرًا بنيّف . ولمّا توفي ابراهيم (عدد ١٠٣ من كتاب العفّة) سار روزبيهان الى دير مار اوجين ثم تطرن على نصيبين

١) راجع فائمة كتب بطريركيّة الكلدان التي نشرها بالفرنسيّة السيّد ادي شير مطران سعرد (عدد ١٢)

٢) هذا عبدالله استنسخ ايضاً كتاب خميس لدير مار اوجين مع كشكول وحوذرا وكرّاً (فائمة السيّد ادي شير عدد ٣٠)

٣) راجع فائمة سيادتهِ لمكتبة الكلدان في ماردين (عدد ٩ و ١٠ و ٢٠ و ٢٨)

ووهب قرية هيزجان لدير مـار اوجين . وقال يشوع دناح (عدد ١١٠) ان رابان سفرا أسس ديراً على مرحلتين من دير مار اوجين

وورد في قصة الانبا سلّارا ووالدته اليشبع النصيبيّين ان سلّارا ترهّب في دير مار يوحنا (١ ومار اوجين في جبل الازل وان يوحنـا واوجين اشتركا في الرسالة واجتذاب الوثنيّين الى الدين القويم في جبل الازل وان وثلستهما طالت ستاً وثلاثين سنة وخلفهما اندريوس ٨٢ سنة ثم يوحنـا الحيري ٤١ سنة ثم دانيال ٢٠ سنة ثم يوحنا العربي ٣٥ سنة ثم اسطفانس الفارسي ٥٠ سنة ثم يشوع الفلسطيني سنتين ثم ابرهيم القبطيّ ٢٠ سنة ثم ابرهيم الاورشليميّ ٣٠ سنة . ثم تولّى الانبا سلّارا وعمّر ثمانين سنة وتوفي (٢ فـاذا حسبنا ان القديس اوجين توفي في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣ تكون رئاسة خلفائه قد استغرقت نيفاً ومائتين وثمانين سنة ويكون الاب سلّارا قد تولّى سنة ٦٤٣ م

هذا ما عثرنا عليه من اخبار دير مار اوجين . ولو اردنا الاسهاب في هذا الباب لطال بنا المجال وفي ما اوردناه كفاية

وفي جنوبيّ شرقيّ الدير دير في البريّة باسم مار بوب يسكنهُ قوم من اليعاقبة . ولعلّهُ دير مار باباي تلميذ ابرهيم رئيس النسّاك النسطوريّ وكان اصلهُ من بيت عيناثا (طالع توما المرجيّ ٧ : ١٣) وقد سمّاهُ صاحب كتاب العفة : باباي ابن النصيبيّين الذي ابتنى ديراً في جبل الازل وخرب الدير (٣

١٥ من دير مار اوجين الى نصيبين

تأثّرنا لنظر معاهد دير مار اوجين ولما عبثت به يد الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة وفارقنـاه متأسفين ومتحرّقين على حالته وانحدرنا الى البريّة يوم السبت ٢٣ ايلول وكنّا نلتفت اليه ذات المرار مذكرين سيرَ مجده السابق متعجّبين من مركزه وعطفنا الى جهة المغرب فألفينا على يميننا قرية منقورة بالصخر وهي ملك الدير كان سكانها

١) في شرقي دير مار اوجين دير باسم يوحنا الطائي احد تلاميذه ويسمّى دير المنارة (طالع كتاب العفّة ٤٦ ص ٤٧٠) وفيه دُفن يوحنا الطائي

٢) عن سيرة الاب سلّارا التي لم تُنشر بعد فيا نعهد

٣) كتاب العفّة (طبع الاب بيجان ١٧ : ٤٥٠ و ٧١ : ٤٨٤)

مسيحيين يتولّى تدبيرهم الروحي الرهبان الاوجينيُّون. ولعلّها هيزجان التي وقفها رزبهان لدير مار اوجين كما جاء تحت عدد ١٠٣ من كتاب العفة. وسرنا في ذيل جبل الازل الى المغرب وودّعنا القديس ومعهده الجليل متفكّهين باخباره واخبار تلاميذه حتى لاحت لنا بساتين نصيبين الغرّاء. فوصلناها عصر النهار. ومن الغد وهو الاحد ٢٤ ايلول اقمنا الذبيحة الالهيّة في معبدنا الجديد وقصدنا كنيسة مار يعقوب النصيبيّ معلم مار افرام وهي بيد السريان اليعاقبة يسكنها احد كهنتهم. وناهيك بها من كنيسة جليلة فاخرة وهي على طرز كنائس القرن الرابع او الخامس واسعة الارجاء تحيطها النقوش المزخرفة من كلّ جانب وفيها سوارٍ تعلوها نقوش بديعة وليس فيها من الزينة الكنسيّة ما يستوجب الذكر. والاواني المقدّسة فيها ليست فاخرة

وتحت المذبح سرداب مربّع لسوءٍ بالكنائس القديمة فيه ضريح مار يعقوب مطران نصيبين من الرخام الازرق المغبرّ طولهُ زهاء ثلاث اذرع مغطّى بحجر مقبّب يحاكي ضريح مار يوليان بالقريتين. وفي الناحية الجنوبيّة كوّة قدر كفّ مددنا فيها يدنا فاذا هو ناووس فارغ

ثم صعدنا الى الكنيسة وعثرنا على حجار مكسّرة فرقمنا من تلك الحجار حجرة سُطرت فيها هذه الجملة بالسطرنجيليّة : ܗܢܐ ܥܡܪ ܕܡܪ ܐܒܪܗܡ ܐܣܛܦܢܝܣ ܕܒ ܡܠܦܢܐ ܕܐܬ ܒܗ ܒܥܘܬ ܡܢ ܐܠܗܐ ܘܡܢ ܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܐܦܪܝܡ ܐܡܝܢ اعني «هذا عمود المرحوم المذكور بين القدّيسين مار ابرهيم اسقف طيطس من عرفو؟» والى جانبه هذه العبارة : ܨܠܘܬܗ ܕܡܪ ܐܡܝܢ «صلاته معنا آمين»

وقرأنا في احد كتب البيعة ما تعريبهُ : «انتهى كتاب القوانين الصينيّة سنة ١٨٥١ (١٥٤٣ م) و ٩٧١ هـ (١٥٦٣) ؟ في دير مار ملكا المختار القلزمي ومار سيسين ومار اليشع»

واعلم ان ما عرض لدير مار اوجين عرض كذلك لهذه الكنيسة العظيمة. على ان كلتا الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة امتلكتاها بالمناوبة زمناً

وفي مكتبة الكلدان باردين (تحت عدد ١٠) انجيل حسب نصّ البسيطة كُتب في ١٧ اذار ١٥٦٩ م في عهد مار ايليا ورد فيه ان دوروميك امرأة درويش وهبت الكتاب لبيعة مار يعقوب بنصيبين. وقد عمّر البيعة ورمّمها مؤمنو نصيبين

في عهد يشوعيهب مطرانها سنة ١٥٦٢ م ثم ذكر الكاتب اسماء المتبرّعين والمحسنين الى كنيسة مار يعقوب وديرَي مار اوجين

ويجري داخل نصيبين نهر هرماس يتسرّب اليها من عين الجبل الشماليّ . وكان في القرون الغابرة يقسم البلد شطرين وفي عهدنا يتفرّق في ساحات البلد وشوارعه . وماء النهر معكّر موصوف بسوئه وخباثته . وما اصدق ابن جبير الرحّالة في وصفه نصيبين اذ قال : « ظاهرها شباب وباطنها هرم »

ودور البلدة اغلبها من اللبن الّا بيعة مار يعقوب وديرَ فيرونيا (وهو الجامع في يومنا) والثكنة العسكرية وبضعة بيوت . امّا دور المدينة السابقة فقد طمست في قاب الارض حتى يومنا ولقد طالما حفر الاهالي وعثروا على شيء كثير من آثار دور ونقود وما اشبهها . ووجدنا في نصيبين عمودين طويلين قيل ان قسماً صالحاً منهما مطمور في الارض وتسميها العامّة القبّان

١٦ من نصيبين الى دارا

وسحر الاثنين ٢٥ ايلول برحنا نصيبين متخوفين من حُنّياتها الموصوفة ومررنا بقرية سرجي واهلها مسلمون قاطبةً . وكانت سرجي تحت حوزة ملوك ماردين الأرتقيين . وذكر ابن الاثير (١٠ : ٢٨٣) في اخبار سنة ٥٢١هـ (١١٢٩م) ان زنكي لمّا من الوصل الى ماردين وحصر مدينة سرجي فاجتمع حسام الدين صاحب ماردين وداود صاحب حصن كيفا وصاحب آمد وغيرهم في عشرين الفاً وساروا الى سرجي فهزمهم زنكي وملك سرجي

ثم استأنفنا السير الى دارا فوصلناها الظهر . وليس بوسعنا ان نستقصي البحث عن آثار دارا ونصف معاهدها وعمائرها التي شغلت نفراً من المستشرقين . انّما نورد من ذلك يسيراً من كثير ولا سيما ما يتوط بتواريخ السريان التي استشففنا اليها في رحلتنا هذه

دارا في خلف جبل بين نصيبين وماردين قيل ان داريوش بن ارشك او ارشق او هو دارا بن دارا ابتناها في عهد الاسكندر وبعد زمان خربت فجدّدها انسطاس ملك الروم († ٥٢٠) خليفة زينون الملك . وهذا انسطاس استدعى توما مطران دارا وارسله في مال وافر الى دارا ليرمّمها فانجز الامر في ثلاث سنوات وسمّاها مدينة

انسطاس (Anastasiopolis) . وازدهت بالسكّان في قليل من الزمان واقام فيها الملك نصبةً شاهقة بدل نصبة تاودوسيوس التي كانت هُدمت (١ .

ولمّا ملك يوسطين الثاني (٢ سنة ٥٦٣ ارسل ابن خالته مرقيان في عسكر الى دارا فنصبين لمقاتلة الفرس فدحرهم الفرس وانسلّ مرقيان الى دارا ولحقته الجنود سنة ٥٦٩ فساق كسرى طلائعهُ الى دارا فقطعوا الجبل الشرقي وانابيب المياه والنهر الذي كان يجري تحت البلد وشاد سورًا من اللبن خارج سور البلد وصبّ عليه الخلّ واوقدهُ بالنار فامسى كالفخّار وحصر دارا ستة شهور حتى دخل كسرى البلد ودارت رحى القتال بين الروم والفرس سبعة ايّام فانتنت المدينة من روائح جثث القتلى واستولى عليها الفرس واسروا زعماء الروم وغنموا ثمانية وتسعين الف نفر . وهذا تمّ سنة اثنتين وسبعين لبناء دارا ثانيةً (٣

وفي عهد موريقي سنة ٥٨٣ حصل الصلح بين الروم والفرس فردّ كسرى الى موريقي دارا وراس العين وغيرهما (٤

وبعد ذلك ملكها المسلمون وفي ٧ تشرين الاوّل سنة ٨٣١ دمّرتها كلتا الدولتين الاسلاميّة والفرسيّة (٥ فلم يبقَ فيها الّا نفر يسير وتغلّب عليها المسلمون وقلّ عدد النصارى حتى يومنا

وكانت دارا على ما اوردنا في المقدّمة احدى مطرانيّات الكرسي الانطاكي وتحت سلطتها ثلاث اسقفيّات احداها اسقفيّة طور عبدين . ثم جلس فيها مطارنة يعقوبيّون اخصّهم توما المشار اليه . وقد قرأنا في سيرة جبرائيل رئيس دير قرتمين ان سيمانس مطران دارا حضر جنازته سنة ٦١٨ . ورسم قرياقس بطريرك اليعاقبة (+٨١٧) توما مطرانًا لدارا وخلفهُ ساويرا ثم ايونيس او يوحنا الاوّل رسمهُ ديونوسيوس التلمحري (+ ٨٤٥) وكان يوحنا من اشهر الكتبة السريانيّين ولهُ تصانيف (٦ وقام

---

١) تاريخ الزماوي (٦٣ : ١١٢) وابن العبري (في تاريخه السرياني ص ٧٧)

٢) وهو الشهير باسم بيسطيانوس الاوّل (راجع حاشية ص ١٤٨ من تاريخ الدول)

٣) الزماوي (٦٦ : ١٢٢) وابن العبري (في تاريخه السرياني ص٨٢)

٤) الزماوي (٨١ : ١٢٢) وابن العبري (٩٣)

٥) الزماوي (٢١٧ : ٢٤١)

٦) راجع روبنس دوفال Rubens Duval, *Littérature syriaque*, p. 390

بعده اثناسيوس حكيم رسمهُ يوحنا الخامس (٨٧٤) وخلفهُ متى تلميذ دير مار يوحنا بدارا رسمهُ اغناطيوس الثاني (†٨٨٣) ثم سابريا الثاني رسمهُ ثاودوسيوس (†٨٩٥) ثم ايونيس الثاني رسمهُ ديونوسيوس الثاني (†٩٠٩) ثم جبرائيل رسمهُ باسيل الاوّل (†٩٣٥) ثم ميخائيل رسمهُ يوحنا السابع (†٩٥٣) ثم ديوسقوروس رسمهُ ديونوسيوس الثالث (†٩٦١) ثم اغناطيوس تلميذ دير قرتمين رسمهُ يوحنا التاسع (†٩٨٦) ثم حزقيال تلميذ الدير المذكور وستي مطران دارا والخابور رسمهُ يوحنا التاسع ايضاً . ثم فيلكسين تلميذ الدير المشار اليهِ رسمهُ اثناسيوس الخامس (†١٠٠٣) ثم يوحنا الثاني وسمي كذلك مطران دارا او الخابور رسمهُ يوحنا العاشر (†١٠٣٠) ثم يوحنّا الثالث تلميذ دير مار آباي بقلّث رسمهُ البطريرك المذكور . وبعد يوحنا هذا لم نعثر على مطرانٍ لدارا الى عهد يوحنا مطران ماردين المشهور (†١١٦٦) (١ . وبعد ذلك بزمنٍ حصلت دارا في سلطة بطاركة اليعاقبة . وفي يومنا لا يوجد فيها احد من السريان وكان في دارا ديران للسريان احدهما دير مار يوحنا المذكور في عهد متى مطرانها سنة ٨٨٣ والثاني دير الابيض الذي اعتزل فيهِ ميخائيل الثاني (†١٨١٥) وهو في تلّ تجاه دارا جنوبيها وقد تحوّل الى جامع قصدناهُ فلم يُتَحْ لنا الدخول اليهِ وحجارتهُ تدلّ على قدميّتهِ

امّا النساطرة فلم يكن لهم مطران في دارا ولعلّها كانت خاضعة لمطرانيّة نصيبين المعتبرة عندهم اذ عدّوها الكرسي الثاني . امّا الاوّل فكان كرسيّ عيلام كما ذكر عمرو بن متى (٢

وذكر توما المرجي (٢٥ : ٣٩) غريغوريّ البسّاميّ مطران نصيبين قال ان كسرى في السنة الخامسة عشرة لملكهِ دوّخ دارا وأمر ان يكون غريغور خليفة لسبريشوع الجاثليق ولم يذكر اسم مطران او اسقف للنساطرة في دارا

وذكر صاحب كتاب الهنة النسطوري (عدد٣ص ٤٤١) «ان شاري تلميذ اوجين

---

١) استمرّت دارا كرسيًا لمطران خاصّ حتى سنة (١٠٦٢ م) فاضافها بجم مطارنة السريان اليعاقبة الى ابرشيّة المغريان وضمّ اليها نصيبين وقلّث (الزهرة الزكيّة ص ٥٣)

٢) راجع المشرق (٢ : ١٠٢)

بلغ الى جبل دارا وابتنى فيهِ ديرًا فخيماً . ووسعهُ سبر يشوع مطران نصيبين وجعلهُ ديرًا كبيرًا شهيرًا »

وقد ورد في ٥ : شباط تذكار لشمون الداريّ ونظنّ انهُ كان مطرانًا يعقوبيًا (راجع كلندار الاب بترس ص ١٧٦)

ثم اننا جلنا ساحات دارا وطفنا نواحيها وأُعجبنا بآثارها وعتائقها . فالنهر يفصل البلد شطرين وفي الناحية الشرقيّة يسكن المسلمون وفي الغربيّة نفرٌ من الارمن الكاثليك لا يتجاوز العشرين عائلة ولهم قسّ ارمني من ماردين ومصلًى صغير حديث . وآثار سور البلد باقية حتى اليوم وفيها اسراب شتى يُنزَل اليها بدرج تحت الارض وهي طويلة ضيقة تمتدّ من الشرق الى الغرب قيل انها كانت خزينة الملك او السجن . وشاهدنا ايضاً اسراباً فوق البلدة شمالها كان يجري فيها الماء . وفي غربيّ دارا صخور شتى منقورة يُظنّ انها كانت معابد للوثن ثم أُحيلت اكواخاً للرهبان ولحظنا على باب احدى تلك المغاور هيئة جندي باسل والى جانبهِ كتابة يونانيّة اشكل علينا اخذ صورتها بالقلم لتقدم عهدها . ولم نحظَ بآثار او كتابات سطرنجيليّة على كثرة تنقيبنا وتنقيرنا عنها . وذكر لنا الاهلون انهم كلما حفروا صادفوا قطعاً من النقود القديمة الراقية الى القرن الخامس والسادس بعد المسيح . وقد حصلنا على قطعة ذهبيّة من المسكوكات البرزنتيّة وُجدت بين نصيبين ودارا عليها صورة والنتنيانوس ملك الروم مع هذا الشعار اللاتيني :

D. N. VALENTINIANVS PFAVG

سيدنا والنتنيانوس القيصر التقيّ السعيد

ومن الجهة الثانية هيئة شابين يظنّ انهما لاون وزينون ملكا الروم

وبعد ان شبعنا من مناظر دارا ركبنا الى التلّ الذي في جنوبيها وحاولنا الدخول الى الجامع القديم المذكور اعلاه فلم نفز بالمرغوب فاستأنفنا السير الى حرّين ومنها الى ماردين وكان وصولنا اليها عند الغروب . وشكرنا لله نعمتهُ الفائضة على صيانتهِ ايانا من الاضرار والاخطار في الحلّ والترحال